الهجرة النبوية بين التخطيط البشري والتأييد الإلهي

الجمعة ٧ من المحرم ١٤٣٦ هـ - ٣١ من أكتوبر ٢٠١٤ م

أولا : العناصر :

١- الهجرة والأخذ بالأسباب.

٢- التخطيط ضرورةٌ من ضرورات الحياةِ.

٣- تأييد الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم) .

٤- معية الله تعالى لعباده المؤمنين.

ثانيًا : الأدلـة :

الأدلة من القرآن الكريم :

١- قال تعالى:{ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[التوبة :٤٠].

٢- وقال تعالى : { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }[الأنفال: ٣٠].

٣- وقال تعالى :{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النحل:٩٧].

٤- وقال تعالى:{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال:٦٠].

٥- وقال تعالى:{ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ }[يس : ٩].

٦- وقال تعالى:{إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}[غافر:٥١].

٧- وقال تعالى: :{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل:١٢٨].

الأدلـة من السـنة :

١- عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، قَالَتِ : اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) أَبُو بَكْرٍ فِي الْخُرُوجِ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الأَذَى فَقَالَ لَهُ : (أَقِمْ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَتَطْمَعُ أَنْ يُؤْذَنَ لَكَ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ : إِنِّي لأَرْجُو ذَلِكَ ، قَالَتْ : فَانْتَظَرَهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَتَاهُ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ذَاتَ يَوْمٍ ظُهْرًا ، فَنَادَاهُ فَقَالَ : (أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ)، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ...) (رواه البخاري).

٢- وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): « لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا ». تغدو: تذهب أول النهار، وتروح: ترجع آخر النهار. [رواه الترمذي].

٣- وعن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال: تَشَاوَرَتْ قُرَيْشٌ لَيْلَةً بِمَكَّةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا أَصْبَحَ، فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ، يُرِيدُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلِ اقْتُلُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ أَخْرِجُوهُ، فَأَطْلَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ عَلَى ذَلِكَ، فَبَاتَ عَلِيٌّ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى لَحِقَ بِالْغَارِ، وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا، يَحْسَبُونَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَوْا عَلِيًّا، رَدَّ اللَّهُ مَكْرَهُمْ، فَقَالُوا: أَيْنَ صَاحِبُكَ هَذَا؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، فَاقْتَصُّوا أَثَرَهُ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْجَبَلَ خُلِّطَ عَلَيْهِمْ، فَصَعِدُوا فِي الْجَبَلِ، فَمَرُّوا بِالْغَارِ، فَرَأَوْا عَلَى بَابِهِ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ، فَقَالُوا: لَوْ دَخَلَ هَاهُنَا، لَمْ يَكُنْ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى بَابِهِ، فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ "(رواه أحمد).

٤- وعن أبي بكر (رضي الله عنه) قال: "... فَارْتَحَلْنَا بَعْدَ مَا زَالَتِ الشَّمْسُ وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ - قَالَ - وَنَحْنُ فِي جَلَدٍ مِنَ الأَرْضِ (صلبة) فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُتِينَا ، فَقَالَ « لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ». فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا أُرَى فَقَالَ إِنِّى قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَىَّ فَادْعُوَا لِي فَاللَّهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ. فَدَعَا اللَّهَ فَنَجَى فَرَجَعَ لاَ يَلْقَى أَحَدًا إِلاَّ قَالَ قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَا هُنَا فَلاَ يَلْقَى أَحَدًا إِلاَّ رَدَّهُ - قَالَ - وَوَفَى لَنَا) (صحيح مسلم).

٥- وعَنْ أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قُلْتُ لِلنَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم): (مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا).(مُتَّفَقٌ عَلَيهِ).

ثالثًا : المـــوضــــــوع:

في مثل هذه الأيام المباركة من كل عام يحتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بذكرى هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، ونحن إذْ نحتفل بهذه الذكرى العطرة إنما يكون ذلك للعبرة والاقتداء والوقوف على الدروس المستفادة منها ، فالمتدبر لمعاني الهجرة الشريفة يستنبط منها دروساً عظيمة ، ويستخلص منها فوائد جمة، ويلحظ فيها حكماً باهرة يستفيد منها الفرد والمجتمع في كل نواحي الحياة ، فالهجرة مع التخطيط والإعداد والأخذ بالأسباب لم تخلُ من مظاهر التأييد الإلهي، والرعاية الربانية ، فحين واجه المشركون النبي (صلى الله عليه وسلم) ووقفوا عقبة في طريق دعوته وتبليغ رسالته مستخدمين كل أساليب القمع والبطش والتنكيل والتعذيب ليثنوه عنها ، ويمنعوه من أدائها ، حتى وصل بهم العداء إلى العمل على قتله والخلاص منه قال تعالى :{ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } [الأنفال:٣٠] فلم يزده ذلك إلا ثباتًا وقوة مما جعله يأخذ بالأسباب التي مكنت لدعوته وساعدت على نشر رسالته دونما تقصير أو كسل ، أو تخاذل أو ملل .

إن الإسلام دين لا يعرف التواكل ، بل يحاربه وينبذه ويدفع إلى الاجتهاد والعمل ، وإنما هو دين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله ، قال تعالى:{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النحل:٩٧]. وفي الحديث عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): « لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا ». تغدو: تذهب أول النهار، وتروح: ترجع آخر النهار. [رواه الترمذي].

فهو (صلى الله عليه وسلم) مع علمه الكامل بربه وهو القائل عن نفسه كما في صحيح ابن خزيمة (فأنا والله أعلم بالله وأتقاكم له)، وتيقنه التام على وعده بنصرته لدينه وتأييده له، إلا أنه (صلى الله عليه وسلم) أعد لحادثة الهجرة عدتها، واتخذ لها ما يقدر عليه من الأسباب ، فالأخذ بالأسباب هو طريق الحصول على ما عند الله عز وجل، مع مواصلة العمل الجاد المحكم وقوة العزم وإخلاص النية وصدقها .

لهذا رأينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتخذ من الأسباب ما يقدر عليه ، في إعداده لرحلة الهجرة، وترتيب كل ما يلزم لها ، حيث كان (صلى الله عليه وسلم) حريصاً على قضاء حاجته سرًّا، وقد ظهر ذلك واضحاً حينما جاء ليخبر الصديق (رضي الله

عنه) بأن الله قد أذن له بالهجرة، تقول السيدة عائشة (رضي الله عنها) – كما في صحيح البخاري وغيره- : (عَنْ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتِ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَبُو بَكْرٍ فِي الْخُرُوجِ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الأَذَى فَقَالَ لَهُ (أَقِمْ) فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَتَطْمَعُ أَنْ يُؤْذَنَ لَكَ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ إِنِّي لأَرْجُو ذَلِكَ ، قَالَتْ : فَانْتَظَرَهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَتَاهُ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ذَاتَ يَوْمٍ ظُهْرًا ،(وفي بعض الروايات أنه جاء متقنعاً) فَنَادَاهُ فَقَالَ : أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ...).

فلنتأمل حرص النبي(صلى الله عليه وسلم) في مجيئه بيت أبي بكر متقنعاً حتى لا يُعرَف ، و حرصه على أن لا يدري أحد بحركته وتوجهاته.

ومن الأخذ بالأسباب حسن التخطيط والإعداد الجيد لأنه ضرورةٌ من ضرورات الحياةِ ، وسبب من أسباب النجاح ونرى ذلك جليًا في هجرته (صلى الله عليه وسلم) فقد أعد لكل أمر عدته على الرغم من عصمة الله له ، وذلك باختياره الوقت المناسب ، والرفيق المناسب ، وأساليب التعمية والتمويه على القوم ، فكان (صلى الله عليه وسلم) بذلك أنموذجًا للقائد والمعلِّم ، فتراه يضع خطة الهجرة بمنتهى الدقة والحكمة مستخدماً الفكر والعقل ، ويثق في نصر الله (عزّ وجلّ) أولاً وأخيرًا.

ويتجلى ذلك في توزيع المهام وعدم احتكار الأدوار ، فعهد إلى ابن عمه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لينام على فراشه الشريف ؛ على سبيل التمويه للمتربصين به بأنه (صلى الله عليه وسلم) مازال في فراشه ، ويسلك (صلى الله عليه وسلم) طريقًا وعِرًا غير مأهول ولا معتاد ؛ لتضليل المطاردين ، ثم يتجه ناحية الجنوب مع أنه (صلى الله عليه وسلم)كان يقصد المدينة المنورة شمالاً ، وفي اختيار ه (صلى الله عليه وسلم) من يهديه الطريق استعان بذوي الكفاءة من أهل المروءة، وهو عبد الله بن أريقط الخبير بمجاهل الصحراء ودروبها .

ومن تخطيطه الجيد وإعداده المحكم أنه (صلى الله عليه وسلم) مكث بغار ثور ثلاث ليال قبل التوجه نحو يثرب حتى يهدأ الطلب عليه وعلى صاحبه ، وجهز من يأتيه في الغار بالطعام والشراب ، وهي أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنه) ، ويختار عبد الله بن أبي بكر فيكلفه بنقل أخبار قريش ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) راعياً للغنم ؛ ليخفي آثار عبد الله بن أبي بكر ، حتى لا تعرف قريش أين ذهب ، فكان (صلى الله عليه وسلم) يحسن انتقاء من يقوم بكل مهمة ، وهُو في هَذا كلّه متوكلٌ على

الله – تعالى– مُعلنًا أنه في معية الله ، فيقول لصاحبه : { ..لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا..}[التوبة:٤٠] .

وكان هذا التخطيط المُحكم بهذه الدقة من النبي (صلى الله عليه وسلم) ليُعلم أمته أن هذا الدين القويم هو دين التخطيط لأي أمرٍ من الأمور ، فالمؤمن إذا كان قوي الإيمان بالله يعتمد تمام الاعتماد على الله، لا بد له من إجادة التخطيط في أي أمرٍ يريد أن يبلغه في هذه الحياة كما فعل رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ، حيث كان معه نصر الله ومعه رعاية الله ومعه تثبيت الله ومعه كفالة الله لكن لا بد له من التخطيط الدقيق، هكذا يُعلمنا رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)الدرس .

فمن أراد أن يتعلم التخطيط فليتأمل هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) التي أكدت أن الإسلام دين الإعداد الجيد ، والتخطيط السليم ، وقد أمرنا الله بالإعداد في القرآن الكريم في قوله تعالى:{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال:٦٠]. ومن ثم كان التخطيط ضرورةً من ضرورات الحياةِ وسبباً من أسباب النجاح ، وفي ذلك درسٌ بليغ وحكمة عظيمة ؛ إذ أن حسن التخطيط وروعة التدبير لا تعدو أن تكون أسبابا أُمرنا أن نجتهد في إعدادها دون التعلق بها ، إذ الحافظ والناصر و الموفق هو الله سبحانه وتعالى.

إن المتأمل في الهجرة النبوية الشريفة يجد أنها مظهر من مظاهر تأييد الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه وسلم) والدفاع عنه ، فأحداثها لم تخلُ من مظاهر التأييد الإلهي ، والحفظ والرعاية الربانية.

ولعل من أعظم تلك المظاهر في تأييد الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه وسلم) وحفظه له : ما وقع له عند خروجه من مكة، وقد تآمر به كفار قريش ليقتلوه بضربة رجل واحد ليتفرق دمه في القبائل عملاً بمشورة أبي جهل، يقول تعالى حاكياً عنهم كيدهم وتآمرهم:{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}[الأنفال:٣٠].

وهنا تتجلى العناية الربانية والتأييد الإلهي لرسوله (صلى الله عليه وسلم) ، حيث يخرج (صلى الله عليه وسلم) من بيته – بحفظ الله تعالى له ، وفي رعايته وعنايته – وهو يخترق صفوف المشركين ، وفي يده الشريفة حفنة من التراب ، فجعل يذره على رءوسهم، وهو يتلو قول الله تعالى: { وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ

يُبْصِرُونَ } [يس : ٩] فقد أعمى الله أبصار   قريش عن مقره فلا يرونه مع سعيهم الدائب في البحث عنه ، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا.

أخرج الإمام أحمد في مسنده ، عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال: بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وقال: بعضهم بل اقتلوه، وقال بعضهم :بل أخرجوه، فأطلع الله – عز وجل – نبيه على ذلك فبات عليٌّ على فراش النبي (صلى الله عليه وسلم) تلك الليلة وخرج النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبي (صلى الله عليه وسلم) فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا : أين صاحبك هذا، قال لا أدري ، فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل خُلِّط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال ".

ومظهر آخر من مظاهر ذلك التأييد الرباني، والحفظ الإلهي يتجلى واضحاً، في خبر سراقة بن مالك وهو يلحق بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه، فحينما اقترب منهما، وهو على فرس له، ورآه أبو بكر وقع في نفسه الخوف والحزن، فالتفت أبو بكر، فقال: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "لا تحزن إن الله معنا".

وفي ذلك ، يقول أبو بكر (رضي الله عنه) - كما في صحيح مسلم - "... قَالَ فَارْتَحَلْنَا بَعْدَ مَا زَالَتِ الشَّمْسُ وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ – قَالَ – وَنَحْنُ فِى جَلَدٍ مِنَ الأَرْضِ (صلبة) فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُتِينَا ، فَقَالَ « لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ». فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا أُرَى فَقَالَ إِنِّى قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ فَادْعُوَا لِي فَاللَّهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ. فَدَعَا اللَّهَ فَنَجَى فَرَجَعَ لاَ يَلْقَى أَحَدًا إِلاَّ قَالَ قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَا هُنَا فَلاَ يَلْقَى أَحَدًا إِلاَّ رَدَّهُ – قَالَ – وَوَفَى لَنَا) . فكان كذلك إذ صد الله سراقة، وعاد أدراجه بعد أن أعطى الأمان لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وعرض عليه الزاد والمتاع، بل وعاد يصد ويرد كل من يلقاه في طريقه يطلب محمداً وصاحبه.

كما نرى من مظاهر ذلك التأييد الرباني، والحفظ الإلهي للرسول (صلى الله عليه وسلم)، حين خرج بصحبة أبي بكر الصديق وأقاما في غار ثور ثلاث ليال، وقريش تبحث عنهما في ربوع الصحراء ، وتجعل لمن يأتي بهما مائة من الإبل، حتى عظم الخطب ، ولما بلغ المشركون باب الغار، هناك قال أبو بكر (رضي الله عنه) للرسول (صلى الله عليه وسلم):

" لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) قولة المؤمن الواثق من معية الله تعالى وتأييده له: (مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا) (صحيح البخاري).

وصدق الله العظيم حيث قال :{إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[التوبة :٤٠].

في هذه المعالم من هجرته (صلى الله عليه وسلم) ، يقترن الإعداد البشري بالتأييد الإلهي، وفي ذلك عبرة وعظة للمسلمين من بعد، بأنهم مكلفون بأن يتخذوا من الأسباب ما يستطيعونه ويقدرون عليه، دون تقصير أو تكاسل، ثم التجرد من الأسباب وتفويض الأمر لرب الأسباب.

كذلك ينبغي للإنسان أن يعلم أن معية الله تعالى هذه التي نستفيدها من حدث الهجرة النبوية ليست خاصة بالرسول (صلى الله عليه وسلم) ، بل إنها عامة لكل مؤمن تقي أخلص لله تعالى في طاعته وأحسن العمل ، قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل:١٢٨].وقال (صلى الله عليه وسلم): (احفظ الله يحفظك). فمن كان في معية الخالق سبحانه وتعالى لن يضره أذى ، وحاشا لله أن يترك أنبياءه وأولياءه أو يتخلى عنهم ، فهو القائل سبحانه: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر:٥١].

بهذا تكون الهجرة قد أعطت دروسًا عملية في حقيقة الإيمان بالله (عزّ وجلّ) وما يتطلبه من إعداد مادي وتأهيل قلبي اكتسابًا للمعية الإلهية ، والتأييد الرباني.

فعلينا جميعًا أن نتعلم من هذه الدروس أن الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع حسن التوكل على الله عزّ وجلّ ، بل هو جزء من التوكل الصحيح وأساس له ، وما أحوجنا إلى هجرة حقيقية إلى الله ورسوله ، هجرة من الكسل إلى العمل والإنتاج ، من الكذب إلى الصدق ، من الخيانة إلى الأمانة ، من خُلْف الوعد إلى الوفاء به ، من البخل إلى الكرم ، من الأنانية إلى التكافل والتراحم والإيثار ، من الاعتداء الآثم على الأوطان أو الآمنين إلى التزام منهج الله عز وجل في حرمة الدماء والأموال والأعراض والوفاء بحق الأوطان .